و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

لا تحسبوه شرًّا لكم

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١/٤/١٤٤٥هـ

لا تحسبوه شرًّا لكم

تقديم:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

بين الألم الجسدي والنفسي!

في حادثة حدثت لعائشة -رضي الله عنها- إذ كانت تُعاني من الحمّى وبالإضافة إلى هذا الألم الجسدي عذاب نفسي، هذه الآلام الجسدية والنفسية كانت تقاسيها بسبب الافتراء عليها في حادثة الإفك المعروفة. في هذه الحادثة رموا عائشة -رضي الله عنها- في عرضها لا لشيء إلا لأنها تأخرت عن القافلة في سفر مع النبي -عليه الصلاة والسلام-كانت قد ذهبت لتقضي حاجتها، رفعوا الهودج وكانت -رضي الله عنها- لا تزال صغيرة وخفيفة، فلم ينتبهوا أنه لا يوجد أحد، مضت القافلة فقالت عائشة -رضي الله عنها- مؤكد سيفتقدونني ويرجعون إلي!

وبالفعل كان في آخر القافلة حارس وهو صحابي معروف اسمه صفوان-رضي الله عنه-، يتأخر عنهم ليتفقّد ويتأكد ما إن كان هناك شيء قد نُسي فيأتيهم به، وجد عائشة -رضي الله عنها- فأناخ ركابه ومضى بها.

هذه الحادثة حينما جاء صفوان-رضي الله عنه- بعائشة -رضي الله عنها- إلى القافلة ودخل بها المدينة جعلت الألسن تلوك في عِرض عائشة -رضي الله عنها-. (القصة فيها تفاصيل معروفة للجميع).

قف قليلًا عند مشاعر عائشة-رضي الله عنها- في تلك الأيام وهي تعاني ألم الحمى ولا تدري ما الذي يحدث؟! لكنها تشعر بتغير رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تشعر أنه ليس بنفس اللطف الذي اعتادت عليه حينما تمرض. وعائشة -رضي الله عنها- ليست كأي أحد عند النبي -عليه الصلاة والسلام- هي حبّه، وحين نقول الحب فنحن نعني أن يأتي صحابي إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- فيقول: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ فيقول عائشة. فيقول الصحابي: أقصد من الرجال؟ قال: أبوها. إذن الذي ابتلي به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أحب زوجاته إليه والتي مات في حجرها.

انسكاب ماء العين..

في نفس لحظات الغم والهم التي كانت تقضيها عائشة -رضي الله عنها- حتى قالت بكيت إلى أن جف دمعي من كثرة البكاء. وهذا مُشاهد عندنا، أن تبكي من مصيبة أو حزن فتشعر أن دمعك مثل الماء المنسكب تود لو تستطيع التوقف عن البكاء فلا تستطيع! هي العين تنهمر بدموعِها من الحزن الداخلي الموجود في داخل القلب!

براءة من فوق سبع سماوات!

في وسط هذا كله لا شك أن هناك ثمة تساؤلات كانت تدور في ذهنها -رضي الله عنها-، لماذا يا ربي أنا؟ ولماذا أُرمى في عرضي؟ أنا فقط ذهبت أقضي حاجتي بعيدًا عن الأعين! نعم هي لم تفعل أي جريمة! لكن في هذا الموقف الذي كان أكبر من فتاة لم يتجاوز عمرها 17 سنة، كانت أقصى أمانيها أن يرى النبي -عليه الصلاة والسلام- فقط رؤيا! تُثبت أن عائشة-رضي الله عنها- بريئة وأن ما حدث افتراء من المنافقين عليها والذي استمر شهرًا.. شهرًا كاملاً يتحدثون في عرضها، أقصى أمانيها أن يأتي جبريل -عليه السلام- ويقول يا محمد زوجتك بريئة أرجعها إلى بيتك، هذا أقصى شيء كانت تتمناه، ولكن الله -سبحانه وتعالى- خبأ لعائشة -رضي الله عنها- أمرًا آخر، ابتدأت الآيات التي نزلت في عائشة في هذه الحادثة : "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ " سورة النور (آية11)، فلم ينزل في عائشة-رضي الله عنها- براءة في رؤيا، ولم ينزل جبريل-عليه السلام- فقط ببراءتها، ولم يبرئ النبي -عليه الصلاة والسلام- عائشة-رضي الله عنها-بمجرد كلام بين أربعة جدران، بل نزلت براءتها من سبع سنوات في سورة النور في أكثر من 11 آية، كل هذه الآيات توعّدت أولئك الذين رموها في عرضها إلى أن قال الله -عز وجل- :"إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" سورة النور (آية23).

عائشة -رضي الله عنها- حينما علمت كانت تقول والله لشأني في نفسي أهون من أن ينزل الله فيّ قرأنا!

خلال لحظات الهم والغم، شهر كامل والناس تلوك في عرضك وأنت لا تملك أي شيء يثبت براءتك، ولو تعيش موقف عائشة وتقرأ في تفاصيل هذه الحادثة وكيف أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يسأل الخادمة هل رابك شيء في عائشة؟ حتى أتى -عليه الصلاة والسلام- يومًا إلى عائشة -رضي الله عنها- فقال لها: يا عائشة إن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري ربك!

تخيلوا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأتي إليها ويقول لها ذلك، لأنه لا يوجد أي دليل يثبت أنها بريئة، والناس لاكت وزادت في هذه الافتراءات.

محنة واختبار..

أرادت عائشة -رضي الله عنها- فقط براءة، ويريد الله -عز وجل- من هذه الحادثة كلها أن يميز الصف المسلم وأن يعرف المؤمنين الصادقين من المنافقين ومن الذي لا يتوانى لسانه، كان هذا اختبار لأهل المدينة وللصحابة، منهم من نجح في الاختبار، ومنهم من سقط!، منهم زوجة النبي عليه الصلاة والسلام وأمها زينب بنت أبي جحش تقول: عائشة كانت تساميني في المنزلة، (يعني هم المتنافسات على قلب النبي -عليه الصلاة والسلام-)، فجاء إليها النبي -عليه الصلاة والسلام-فقال لزينب: "ماذا علمتِ أو رأيتِ؟" فقالت زينب: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا. أخرجه البخاري.

لعل عائشة-رضي الله عنها- ماتت وهي لا تعلم ما هو الخير الذي جاءت به هذه الآية "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ " سورة النور (آية11)، لم تعرف أن صيتها سيبقى إلى يوم القيامة، يأتي فئة من الناس يتعبدون الله بضربها في عرضها وبالافتراء عليها؛ ويبقى الأجر موفورا لعائشة -رضي الله عنها- وهي في قبرها وتنزل عليها الحسنات مثل الجبال، لا لشيء فعلته بل للأذى الذي أصابها.

"وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم" سورة البقرة(آية216).

<u>علم الله عز وجل يكون في الماضي والحاضر والمستقبل، أما علم بني آدم فناقص جهول، لا يعرف ما وراء الحكمة، وما سيقابله من أحداث.</u>

"وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم" سورة البقرة(آية216). ولذلك قد يكتب الله -عز وجل- المسرات في قلب المضرات، وقد يجعل المحن في باطنها المنح، وهذا واضح وجليّ فيما ندرسه في العقيدة، الله -سبحانه وتعالى- لا يريد شرا محضا، ولا يكتب شرا محضا، وإنما لابد أن يكون هناك خير عرفه من عرفه وجهله من جهله؛ لذا فالمؤمن يؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه فأمر المؤمن كله خير لأنه يسلم لهذه القاعدة :(الشيء الذي أخطأني -أي الذي لم يكتب لك الله فيه نصيبًا - لم يكن ليصيبني وأن ما أصابني لم يكن ليخطئني)، ولو كنت بين أربع جدران أو حتى في برج عاج، إذا كتب الله لك أن تصاب بهذا الأمر سيصيبك، أقدار الله ماضية، وتحوط بالمسلم عن يمينه وشماله، وهذه الأقدار هي أقدار كونية لا يمكن لأي إنسان الفرار منها، فإذا قضى الله لفلان الأمر في فقد أو وفاة أو في صحة أو رزق كان أمر الله مقضيا.

وانظروا للمسلمين في بدر، نعرف أنها لم تكن غزوة وإنما خرج المسلمون مع النبي -عليه الصلاة والسلام- وهم يريدون فقط قافلة عير لقريش، قافلة تجارية فيها أرزاق لهم، وقريش قد آذتهم في أرزاقهم، فأراد النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يسترد شيئًا من ذلك، فخرج مع ثلاثة من أصحابه-رضوان الله عليهم- إلى تلك القافلة، لم يكونوا يريدون شيئا آخر ولذا لم يخرجوا إلا بسلاح الراكب -مجرد خنجر أو مجموعة سهام صغيرة- غير مستعدين لخوض أي معركة، ثم ما كان منهم حينما وصلوا إلى المكان الذي اختبؤوا فيه؛ لتمر القافلة وإذا بقريش قد كادت بهم.

عرف أبو سفيان أن المسلمين خرجوا له فغير طريقه ورجع إلى مكة، جمعوا ألف فارس على خيولهم، ولم يكن من المسلمين سوى فارسَين اثنين، خيلين فقط، حصلت هذه المعركة بموازين غير متكافئة، ثلاثمائة يقابلون ثلاثة أضعاف وأكثر! وليسوا فقط ألف وإنما مدججين بالسلاح ومستعدين للقتال، والمسلمون ليس عندهم إلا سلاح الراكب فقط! أراد لهم الله -سبحانه وتعالى- أن يلتقوا في تلك المعركة:" وتودون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم" سورة الأنفال(آية7)،

لم يعلن المسلمون الحرب ولم يريدوا الأذى، كانوا يريدون فقط الإغارة على القافلة، غير أنهم لم يجربوا أنفسهم في حرب ولم يدخلوا في حرب مع المشركين، فإذا بهذه الحرب تُباغتهم، فوجدوا أنفسهم أمام كفار قريش.

يأتي التساؤل هنا لماذا يا رب ونحن المسلمون الذين نعبدك، نحن الذين نقول لا إله إلا الله وهم الكفار المشركون، كيف تكون لهم الدولة؟ وكيف تجعلهم يكيدون لنا في هذه المكيدة فإذا هم ألف ونحن ثلاثمائة!

لم يعرف المسلمون ما يخبئه الله -عز وجل- لهم من خير، فتكون بدر ويلتقي الصفان وقد سماها الله -عز وجل- "يوم الفرقان يوم التقى الجمعان" سورة الأنفال(آية41)؛ **لأنها فرقت بين الحق والباطل ولأن الإسلام بعد معركة بدر ليس كقبلها**، فلم يزل الإسلام في علو إلى يومنا هذا من بعد تلك المعركة، هذه المعركة التي قاتل المسلمون فيها ولم يسقط منهم إلا ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، وخسر المشركون مائة وأربعين ما بين سبعين قتيلا وسبعين أسيرا، يشاء الله -عز وجل- لهم أن يدخلوا في هذه المعركة فيكسروا كل الموازين البشرية والمادية، كل شيء كان يوحي لهم بالهزيمة، ولكنهم فازوا فيها وعلا الإسلام بعد تلك المعركة.

يقول الله عز وجل :" وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم" سورة البقرة(آية216) ولذلك كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يتلمسون تلك الآيات وحينما تنزل آية من الآيات حتى لو كانت في سبب مخصوص كانوا يأخذون هذه الآيات ويجعلونها قواعد في حياتهم. تقول فاطمة بنت قيس : استشرت النبي -عليه الصلاة والسلام- في أمر النكاح فقال لها انْكِحِي أُسامَةَ بنَ زَيْدٍ فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قالَ: انْكِحِي أُسامَةَ، فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ فيه خَيْرًا، واغْتَبَطْتُ بهِ. راوه مسلم.

فاطمة بنت قيس امرأة عربية حرة من قبيلة معروفة، كرهت في بداية الأمر أن تتزوج هذا الأسود كما يقال في صفته مثل الفحم، فإذا بالنبي -عليه الصلاة والسلام- يغير لها هذه المقاييس؛ لأنه عسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا.

مثال آخر:

كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لرجل من الأنصار: «يا فلان زوجني ابنتك»، قال: نعم ونعمى عين، قال: «إني لست لنفسي أريدها»، قال: فلمن؟، قال: «لجليبيب»، قال: يا رسول الله حتى أستأمر أمها، فأتاها، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ابنتك، قالت: نعم ونعمى عين، قال: إنه ليست لنفسه يريدها، قالت: فلمن يريدها؟، قال: لجليبيب، قالت: حلقًا ألجليبيب؟، قالت: لا لعمر الله، لا أزوج جليبيبًا، فلما قام أبوها ليأتي النبي صلى الله عليه وسلم، قالت الفتاة من خدرها لأمها: من خطبني إليكما قالا: رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ادفعوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لن يضيعني، فذهب أبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: شأنك بها، فزوجها جليبيبا قال حماد: قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: هل [ص:344] تدري ما دعا لها به قال: وما دعا لها به؟ قال: «اللهم صب الخير عليهما صبا، ولا تجعل عيشهما كدا» قال ثابت: فزوجها إياه، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة، قال:

«تفقدون من أحد؟ »، قالوا: لا، قال: «لكني أفقد جليبيبا، فاطلبوه في القتلى»، فوجدوه إلى جنب سبعة، قد قتلهم، ثم قتلوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقتل سبعة، ثم قتلوه ? هذا مني وأنا منه»، يقولها سبعا.. قال ثابت: وما كان في الأنصار أيِّمٌ أنفق منها. رواه ابن حبان، وصححه الألباني.

أنت تريد شيئا و تكره آخر والله -عز وجل- يريد لك في وسط هذا الذي تكره شيئا يحبه وتحبه أنت، ولذلك قد يكتب لك شيئًا في حادثة أو في قدر من الأقدار، وهذا القدر مؤلم لك حتى يصيبك الحزن والهم وقد تكون هذه المرحلة خمس، ست سنوات من عذابات مستمرة بين عذاب جسدي ونفسي، لكن الله -عز وجل- يجعل في هذا كله الذي رأيته شرًا، يجعل في باطنه وثمرته خيرا محضا، فيزول الألم والشر وتنتهي كل تلك العذابات ويبقى لك ذلك الخير الذي لم تكن لتتنعم به لولا ذلك الألم.

قصة:

امرأة كبيرة متزوجة تعثر زواجها من بدايته فصار من الزواجات المؤلمة التي فيها مهانة وذل، استمر عدة سنوات وفي خلال هذه السنوات أنجبت أولاد، ثم انتهى الزواج بالطلاق، مرت الأيام وكبر الأولاد معها تخرّج من تخرّج و شب من شب، جلس الأولاد مع أمهم يوما فقالوا لها: ما الأمور التي ندمتِ عليها في حياتك؟ فعددت عليهم الكثير من الأمور، فسكت الأولاد وضحكوا ثم قالوا: توقعنا أن تكون إجابتك الأولى هي زواجك من أبينا، فقالت أبدا ولا يمكن أن أكره زواجي من أبيكم، لو لم يكن فيه إلا أني أنجبتكم لكفاني! وهذا ما أشكر الله عليه.

إذن ذهبت الآلام والعذابات وبقي هذا الخير المحض، ولذلك مهما عصفت بك العواصف المؤلمة ستنتهي، وستبقى معك آثار من الخير تستمر معك إلى نهاية العمر، ونرى ذلك عندما نقرأ سورة الكهف، قصة الطفل الذي قتله الخضر والله يعلم أن هذا الطفل سيكون شرا لأهله، فما كان منه إلا أن أرسل الخضر ليقتله " فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا "سورة الكهف(آية81).

أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابن له فقال له: «أتحبه؟» فقال: أحبك الله كما أحبه، فمات، ففقده، فسأل عنه، فقال: «ما يسرك أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا وجدته عنده يسعى يفتح لك؟». رواه النسائي، وصححه الألباني.

إذن أنت قد تحبه فتريد بقاءه في الدنيا، ويريد الله عز وجل رفعة الأجر لك والخير له، فيكون ذلك الطفل هو مفتاحك للجنة فلا تدخل من باب من الأبواب إلا وهذا الطفل أمامك يفتح لك ذلك الباب.

الخلاصة: "فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا" سورة النساء(آية19).

بين ثلاثة وثلاثة..!

وعدك الله -سبحانه وتعالى- في ثلاثة بثلاثة، وذلك في قوله تعالى :" وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ " سورة البقرة(آية 155-156)، ويقول الله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" سورة البقرة (آية 153)

الثلاثة هنا هي الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، إعجاز القرآن حينما جمع كل أنواع المصائب في هذه الآية، فالمصائب إما أن تكون نفسية (الخوف)، وإما أن تكون بدنية (كفقد في النفس أو الجسد أو الجوع)، أو تكون مالية (نقص الثمرات والأموال)، فالمصائب لا يمكن أن تخرج عن هذه الثلاث، لأن هذه الدنيا جبلت على نكد فما يعدو إنسان إلا وبلي في واحد من هذه الثلاثة، ولم يتركنا الله -عز وجل- في هذه الدنيا همل، وإنما أرشدنا إلى الحل **بثلاثة أمور**:

- **الصبر** وهو عمل قلبي، أي أن تُحافظ على سكونك ورضاك وصبرك القلبي بغض النظر عن دموع العين، أن يكون قلبك راضيًا صابرًا شاكرًا.
- **وعمل قولي** وهو أن تقول "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرنا في مصيبتنا وأخلفنا خيرا منها " وكلمة إنا لله عندما نقولها في لحظة مصيبة أي أنا وأبنائي وأهلي كلنا لله فلسنا ملك لأنفسنا، وليس من نحب هو ملك لنا، وإنما نحن أملاك وعبيد لله، وهذه فيها البشارة أن فقد الدنيا ليس كل شيء وإنما لابد لنا من يوم تُقضى فيه آجالنا، وسنرجع إلى الله -عز وجل- ويجازينا على ما قدمنا، فنحن لله عز وجل حين نمرض، وحين نفقد ما نفقد، في الغنى والفقر نحن لله.
- وتتعبد بالثالثة التي تجمع بين العمل القلبي والعملي وهي أن **تفزع للصلاة**، قال الله عز وجل: "واستعينوا بالصبر والصلاة" سورة البقرة (آية 45) أي إنك في لحظة المصيبة تفر منها إلى الله، تتوضأ وتصلي ركعتين.

وفي كل مرة يصيبك حزن في نفسك أو في بدنك أو في مالك، فتقابلها بهذه الثلاثة، الصبر والرضا بقلبك، وأن يلهج لسانك بـ "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرًا منها" والاستعانة بالصلاة على ذلك فلك من الله ثلاثة، قال الله عز وجل: "أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ" سورة البقرة (آية 157).

تجلس على كرسيك والدنيا تحوط بك، فلا باب مفتوح لك ولا بوادر لانفراج مصيبتك، وليس لك إلا الصبر واليقين بـ "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرنا في مصيبتنا وأخلفنا خيرا منها"، تغص بالعبرة في حلقك، وعينك تنهمر بالدموع، وفي هذه اللحظات الموجعة، يلوح في خاطرك أن لا أحد يعلم عن ذلك البركان في قلبك، ولا أحد في هذا العالم يكترث لمشاعرك، وأنه لا يمكن لأحد أي يخرجك من هذا الحزن الذي أنت فيه،

لكن الله في الملأ الأعلى ينظر إليك ويسمعك ويعرف رجفة قلبك والغصة التي في حلقك، فيثني عليك خيرًا عند الملأ الأعلى في أهل السماء، ولا يقف الكرم الرباني عند هذا الحد، وإنما ينزل الله -عز وجل-

عليك الرحمة أي إن الله يصب رحماته على قلبك الذي لو لم يصب الله رحمته عليه لانصدع، هذه الرحمات التي ينزلها الله على قلوب عباده يغفر بها الذنوب ويكفر بها السيئات، كيف لا والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول : «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها» رواه البخاري

تخيل! حتى الشوكة، ظفرك الصغير إذا تحرك، دبوس صغير يؤلمك، شيء صغير قد لا تحس به لكنه أوجعك، الله -سبحانه وتعالى- لا يضيعه لك وإنما يكفر به عنك سيئات ويكتب لك به رفعة الدرجات.

أحمد بن حنبل-رحمه الله- يقول يدخل في هذا حتى الإنسان إذا ضيع شيئًا فاهتم لذلك. إذا أضعت مفتاحك أو ورقة وبحثت عنها خمس دقائق، هذه الخمس دقائق التي أصابك الهم فيها تُكتب لك ضمن الهم والغم الذي يكفر الله -عز وجل- لك به السيئات، فكيف بقدر مؤلم ينزله الله -عز وجل- على قلبك فكم يكفر الله -عز وجل- فيها من السيئات ويرفع فيها الدرجات، هل تقف مكارم الله -عز وجل- إلى هنا؟ بل ينير الله -عز وجل- لهم قلوبهم فيبصرون الحق فيهديهم لما اختلف فيه "أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ" سورة البقرة (آية 157)، يكتب الله لتلك القلوب المحزونة الهداية وينير لها الطريق بعد أن كان ظلامًا.

<u>الخلاصة</u>: ثلاث مصائب لو قابلها الإنسان بثلاثة أشياء يكافئه الله عز وجل بتلك الثلاثة.

وانظر إلى الصحابة -رضوان الله عليهم- كيف يطبقون ذلك الأمر تطبيقًا عمليًا، أم سلمة سمعت من النبي عليه الصلاة والسلام : "ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: {إنا لله وإنا إليه راجعون} [البقرة: 156]، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرا منها" رواه مسلم.

هذا الحديث من الأحاديث التي ترويها أم سلمة، -رضي الله عنها-، ولها قصة في حياتها، تزوجت من أبي سلمة -رضي الله عنه- وكان من أهل مكة، أسلم فيها وأسلمت هي من بعده، كان زواجهم أقرب إلى أن يكون زواجًا مثاليًا فكان معها طيب العشرة، وكان كريمًا، دمث الأخلاق، وكان بيته من البيوت التي يتوجّه الناس إليها، فما كان بيتًا عاديًا، وما إن بدأت الهجرة إلا وهاجر هو وأم سلمة ثم حصلت لهم حادثة، وفرقوا بينهما وبين وأولادهم، ثم التمّ الشمل بعد ذلك في المدينة ورجعت إلى زوجها وعاشوا في سعادة، كان من الممكن أن الحياة تتوقف إلى هنا وتنتهي، ولكن الدنيا لم تجبل على أن تكون دار هناء فقط ولابد من الاختبار، فما أن هنئوا ورجعوا إلى بعضهم إلا ويُتوفى أبو سلمة-رضي الله عنه- وتحزن زوجته -رضي الله عنها- عليه حزنًا شديدًا، تروي هي الحديث السابق عن النبي -عليه الصلاة والسلام- : : "ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: {إنا لله وإنا إليه راجعون} [البقرة: 156]، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها، إلا أجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرا منها" رواه مسلم.

قالت في نفسها ومن خير من أبي سلمة؟ فكانت تنظر في وجوه الرجال وتقول من خير منه؟ تقول ولكني قلتها على ثقة بموعود الله، هكذا كان الصحابة، إذا عرفوا معلومة يطبقونها إلى منهج حياة لا يركلونها جانبًا، فكانت النتيجة أن أخلفها الله بما لم تحلم به، أخلفها الله برسول الله -عليه الصلاة والسلام- وبدلا من أن تكون أم سلمة

أصبحت أمنا جميعًا، وبدلا من أن ترافق أبا سلمة-رضي الله عنه- في الجنة وإذا هي ترافق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

الخلاصة: قد تتطلّع نفسك إلى أمر، فيكون هو أقصى أحلامك وآمالك، لكن الله يريد لك أمرًا آخر أرفع وأكبر! "فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا" سورة النساء(آية19).

صاحبة أغلى مهر في الإسلام..

أم طلحة -رضي الله عنها- صاحبة أغلى مهر في الإسلام لأنها لم ترضَ أن يكون مهرها للرجل الذي أحبها -وكان قد وعدها بالزواج- إلا أن يسلم فأسلم، أم طلحة -رضي الله عنها- كان أحد أبنائها مريضًا بحمى شديدة وزوجها غائب مع النبي -عليه الصلاة والسلام- وموعد وصوله في الليل، وهي تعرف أن وقت الليل عسير على الإنسان، ليس بإمكانه أن يفعل شيئًا في هذا الوقت المتأخر، وابنها وصلت به الحمى إلى أن مات في لحظته وزوجها لم يصل بعد، وسيأتي بلا شك متعبًا منهكًا، ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك،

قال: فغضب، وقال: تركتني حتى تلطخت، ثم أخبرتني بابني فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما كان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما» قال: فحملت، قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهي معه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أتى المدينة من سفر، لا يطرقها طروقا، فدنوا من المدينة، فضربها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم، يا رب إنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى، قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد، انطلق، فانطلقنا، قال وضربها المخاض حين قدما، فولدت غلاما فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فلما أصبح احتملته، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فصادفته ومعه ميسم، فلما رآني قال: «لعل أم سليم ولدت؟» قلت: نعم، فوضع الميسم، قال: وجئت به فوضعته في حجره، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعجوة من عجوة المدينة، فلاكها في فيه حتى ذابت، ثم قذفها في فم الصبي، فجعل الصبي يتلمظها، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انظروا إلى حب الأنصار التمر» قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله رواه مسلم.

كانت أقصى أمانيهم أن يشفي الله ابنهم، ويريد الله -عز وجل- لهم شيئا آخر فإذا عبد الله يكبر حافظًا للقرآن وله سبعة من الأبناء كلهم حفظة للقرآن، وقد استُشهد في معركة-أي أنه يشفع لسبعين من أهله- ثم كانت له ذرية عظيمة، فأخذ الله عز وجل ولدًا لهم وأبدلهم بذرية عظيمة كلها في ميزان حسنات أم طلحة وأبي طلحة.

أمر المؤمن كله خير..

أحد السلف -رحمه الله- مات له سبعة من الأبناء بالطاعون دفعة واحدة، فكان يقول: اللهم إني مسلِم مسلِّم، أي إني مسلم لك ومسلم بما فعلت.

هذه الآية "فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا"

جاءت في القران الكريم في موطنين، الموطن الأول الذي سبق ذكره وهو موطن الجهاد والقتال، وأما الموطن الثاني هو في موضع الطلاق والزواج، قال الله عز وجل: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا" سورة النساء(آية19).

ولابن القيم كلام جميل في هذا الموضوع وكيف أن الله -عز وجل- جعل الأول في القوة الغضبية في الجهاد، والثاني في القوة الشهوانية، نتحدث عن حالتين مختلفتين تمامًا، فأمر العبودية يتمثل (في القتال)، وأمر العلاقات الدنيوية يتمثل في (علاقات الطلاق والزواج) وفي كليهما وعد الله -عز وجل- بالخير الكثير.

إذن فالقاعدة لها شقان، من الممكن أن تسعى إلى أمر ما تُحبه، وتظن أن فيه خيرًا لك، ثم إذا حصلت عليه تعرف أنه نقمة عليك، وأن خيرة الله في تأخيره عنك، وقد يصيبك شيئا تكرهه ولا تحبه وتنعطف بك الحياة منعطفًا حادًّا، وإذا بالله عز وجل يجعل في هذا المنعطف الذي كرهته خيرًا كثيرا.

الشيخ أبو اسحاق الحويني -رحمه الله- يحدّث عن ولد كان عندهم في نفس المدينة يقول كان ولدًا يتيمًا مريضًا بثقب في القلب، وهذا الثقب أثّر عليه إلى درجة أنه لا يستطيع أن يمسك الأشياء، قواه منهكه جدًّا، هو شبه مشلول، وكان عمره تقريبًا ثمان سنوات، يُتابع ويقول إن مجموعة من أهل الخير اجتمعوا وأرسلوه لأكثر من مركز علاج طبيعي لتقوية عضلات القلب، فأجرى عدة عمليات، حتى قوي الولد وبلغ عمر الثمانية عشر فأصبح شابًّا فتيًّا يتمتع بالصحة والعافية، بدأ رحلته بالتقديم على عمل بالخارج فسافر إلى أحد البلدان العربية وكان عمله في المقاولات (يحمل وينقل الأثقال)، فكانت هذه الصحة وبالا عليه، إذ جاءت المعلومات عن هذا اليتيم أنه لم تبق فاحشة إلا وفعلها وأصبح من أفجر الناس في ذلك المكان!

أحيانًا يأتي الخير الذي تريده لكن هل هو خير لك أم لا؟ في الحقيقة ليس كل شيء تحبه تظن أنه خيرا لك، الله -عز وجل- حينما قال لأم موسى أن تلقي بابنها في البحر، كانت تهرب من فرعون وجنوده الذين يقومون بحملات تفتيشية على كل بيت؛ لئلا يكون فيها ابن لبني إسرائيل،

تهرب بابنها منهم وتلقي به، لأنها سمعت هذا الوحي الذي جاءها، هي ليست نبي وهذا الصوت قد يكون أي شيء!، فأخذت بابنها ووضعته في ذلك الصندوق ورمته في البحر، يذهب وتلحق به وتنظر إليه فإذا الموج يأخذه ويوقفه عند بيت فرعون، هي هاربة منه ومن جنوده! فتقول يا رب أنا فعلت ما طلبته مني ورميته في البحر وهو قطعه مني، فتنزله يا رب في بيت فرعون! "فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا" سورة النساء(آية19)، وما كانت تعلم أن الله -عزو وجل-يصنع موسى على عينه، وأنه -سبحانه وتعالى-جعل ذلك

الحب في قلب آسيا امرأة فرعون لموسى حتى قالت أبقوه لا تقتلوه فتحفظه عندها ويتربى خارج بيئة الذل والمهانة؛ لأنه لو عاش في بني إسرائيل لكان عبدًا لكن الله منّ عليه وعاش في بيت الملك في بيت فرعون.

سواء في قصة أم موسى أو حتى في قصة يوسف -عليه السلام- حين تقرأها ستمر بك هذه القاعدة "فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا" سورة النساء(آية19)، ستجد أن كل لقطة من لقطات سورة يوسف، وفي كل زاوية من زواياها أن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فالأحداث تقول شيء والله يريد شيئًا آخر، توظف في بيت العزيز ومن البديهي أن هذا يكون أقصى الأماني لإنسان مغترب ومع ذلك كان أمرًا مكروها ليوسف ووبالا عليه، فقد حصلت له فيه الفتنة، ثم لما وضع في السجن -ومعلوم أن السجن أسوأ ما يمكن أن يحصل للإنسان- وإذا هو بداية التمكين ليوسف -عليه السلام-، فمهما قلّبت في حياة يوسف -عليه السلام- من سقوطه في البئر وقصة الذئب إلى آخر لقطة من هذه اللقطات في قضية أخيه بنيامين وكيف اتهم بالسرقة، في كل هذه الأحداث كان الله يهيئ يوسف لأمر أكبر مما هو يريده.

تدبير الله أحسن تدبير

يحكي د. حازم الشومان عن طالب في كلية الصيدلة كان في البداية يدرس في الثانوية العامة في قرية من قرى مصر وكان حلم حياة هذا الطالب أن يدخل كلية الصيدلة، فدرس الثانوية العامة بجدٍّ واجتهاد؛ حتى يحصل على معدل عالٍ يمكّنه من الالتحاق بكلية الصيدلة، حقق المجموع والمعدل المطلوب، وسجل في جامعة القاهرة وقُبِل في كلية الصيدلة، لكنه تلقّى المفاجأة بالرفض من أهله بعدم مقدرتهم على دفع تكاليف سفره وعيشه في القاهرة، لحالهم الميسور وإمكانياتهم البسيطة، فطلبوا من الالتحاق بإحدى الكليات المتاحة في قريتهم، ولم يكن يوجد لديهم كلية صيدلة، أصاب الابن الهم والغم، شعر بذهاب وانقضاء حلم حياته الذي سعى وقاتل من أجله!.

التحق الابن بإحدى الكليات في تخصص لا يرغبه، رسب في السنة الأولى، وفي نهاية هذا الفصل بلغه خبر افتتاح كلية الصيدلة في قريته، ليس ذلك فحسب! بل أبلغوهم أن جميع الطلاب الذين تقدموا بطلب الالتحاق إلى جامعة القاهرة في السنة الماضية، أو حققوا معدلًا عاليًا ولم يقبلوا فيها، يتقدمون في الكلية التي افتُتِحت في القرية، فكان صاحبنا أول المتقدمين وقُبل بالفعل، رجع له حلم حياته وبدأ الدراسة بجدّه واجتهاده المعهود، وبعد ظهور النتائج اتضح أنه راسب في مادتين، انهار الابن لأن حلمه الإكمال في نفس الكلية، أن يكون معيدًا فيها، لكن القانون ينص على أن الراسب في أحد المواد يتعذّر عليه الحصول على الإعادة، فتأخر في دراسته سنة لكن لم يستسلم وأكمل وبذل جهده، لكن كانت هاتان المادتان في سجل شهادته وعلى أساسها لا يمكن أن يكون معيدًا، الكلية جديدة وفي حاجة إلى معيدين وسيختارون من أول دفعة تتخرج، علِم الطلبة بذلك وأصبحت المنافسة شديدة ودخل الغش بينهم، حتى تفشّى في كنترول الاختبارات، فقررت الإدارة أنها لن تأخذ من هذه الدفعة أحد، وجاءت الدفعة التي تليها، وكانت حاجة الكلية كبيرة، فقررت أخذ جميع الطلبة أصحاب المعدلات المرتفعة حتى وإن كان لديهم رسوب، وقد وقع الاختيار على صاحبنا وكان ضمن أولئك الذي حظوا

"بوظيفة معيد"، يقول لو أني اكملت في جامعة القاهرة لا يمكن أن أتوظف في هذه الكلية لأن المنافسة شديدة جدًّا، ولو أني لم أرسب في تلك المادتين لكنت مع الدفعة الأولى التي لم يأخذوا منها أحد، لكن الله أخرني لأكون من ضمن هؤلاء "فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا" سورة النساء(آية19).

وفي قصة أخرى يحكيها الشيخ الطنطاوي-رحمه الله- ونراها مُشاهدة في زمننا هذا أكثر من مرة، عن المسافر الذي تفوته الرحلة، يذكر-رحمه الله- أن شخصًا أراد أن يسافر على طائرة فنام في قاعة الانتظار، بدأ النداء ولم ينتبه الرجل، أقلعت الطائرة فاغتم الرجل غمًّا شديدًا، وإذا بالطائرة تنفجر!

وفي ماليزيا الطائرة المنكوبة حينما أجريت مقابلة مع المسافر الأخير الذي فاتته الرحلة، يقول كنتُ في الطريق لكن السيارة تعطلت فأنقذه الله -عز وجل-.

قصة أخرى يرويها د. حازم عن شخص خرج في رمضان من المنصورة ليرجع إلى قريته مبكرًا، يريد تناول وجبة الإفطار مع أمه وأبيه، والمسافة تقريبًا ساعتان، فلما وصل وجد الباص ممتلئ إلا كرسي واحد فقط شاغر، فإذا بشخص قد جاء مسرعًا سبقه إليه، فاضطر إلى الركوب في باص آخر وانتظر لمدة ساعة حتى يمتلئ الباص.

يقول ونحن متوجهين إلى القرية فإذا بالباص الأول منقلب في النهر والأهالي يحاولون إخراج الجثث، فتذكرت الرجل الذي جاء مسرعًا محاولًا إبعادي حتى يجلس في المقعد، وعرفت أنه كان يركض إلى أجله والله صرفني عنه.

فلا تحزن على شيء فاتك، اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ولذلك شيء من هذه المنح التي تأتي في ثياب المحن ليست لمجرد التعويض في الدنيا، بل يوجد نوع آخر من أنواع التعويض يتجلى في أن تعرف الله -عز وجل-، وأن تفوز برضاه، فتسعد وأنت في كنفه -سبحانه وتعالى-.

منحة في ثوب محنة!

يقول العلماء: الله لم يربط سعادة الإنسان ولا سعادة العبد المؤمن بأي شيء من أمور الدنيا، لكنه ربطها به -سبحانه وتعالى- فكلما كانت العلاقة بينك وبين الله صحيحة، وكلما ارتفعت درجة في تلك العلاقة كلما ملأتْ السكينة والسلام والطمأنينة صدرك، وكلما قطع الإنسان حباله مع الله -عز وجل- وركن إلى الدنيا واستلذ بها، فلا يمكن لسعادته أن تكمل، ولذلك يقال دائمًا كل شيء إذا ضيعته له عوض والله ليس له عوض.

فمن المنح أن يرزقك الله -عز وجل- العلاقة الصحيحة بينك وبينه، ومن المنح أيضًا أن تراجع نفسك حينما تلمّ بك الملمّات، والأقدار المؤلمة التي تنهش قلبك، تراجع نفسك هل فعلت شيئًا فبُليت بمثل هذا البلاء؟!.

ومن هذه المنح أيضا أنها تُعرّف الإنسان قدر النعمة التي هو فيها، فإذا أصابك شيء من الألم تشعر أنك حزين وكئيب للحد الذي لا تستطيع عينك رؤية النعم الأخرى التي تتقلب فيها، كنعمة النوم في فراشك آمنًا مطمئنا، لا تشكو الجوع ولا الزمهرير، كل هذه النعم لا تستطيع استشعارها، لأن شيئًا واحدا فقط لم تحصل عليه! ،

لذا تجد أن الله -عز وجل- قد يعطيك المنح في داخل هذه المحن، فيرزقك العين التي تنظر إلى تلك الأشياء التي اعتدت عليها فتشكره وتحمده عليها، ومنها أن الله -عز وجل- يعرفك حقيقة الدنيا، فالفقد مثلًا يعرفك حقيقة هذه الدار وأنها دار ابتلاء وامتحان، وأن المرجع الحقيقي سيكون إلى الله -عز وجل- حيث هناك يكون الحساب والجزاء ، فلو كانت هذه الدار خالية من المحن، تعلق بها الإنسان حتى يظن أنها كل شيء، فيرى أن سعادته متعلقة بتحقيقه إنجازًا دنيويًا، وينسى أن النجاح الحقيقي هو نجاحه في الدنيا والآخرة.

والغاية الأهم من هذه المحن أنها تكسر القلب لله وترجعه إليه ذليلا قريبا، ولذلك فالإنسان أقرب ما يكون إلى ربه وهو ساجد، أن تضع أعز ما فيك في موطن ذلة في الأرض، في هذا الموطن أنت تعلن ذلّك وضعفك لله -عز وجل- وتدعوه وتقول له: يا رب أنت العزيز وأنا الذليل وأنت الغني وأنا الفقير وأنت القوي وأنا الضعيف. وهذه أحوال لا يصل إليها الإنسان بسهولة، بل لابد له من تلك الكسرة التي يكسرها الله في العبد لتقربه، ودونها يكون الإنسان كالأسد في دنياه.

الفتح المُبين

يقول القرطبي مُعلقًا على هذه الآية: "فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا" سورة النساء(آية19).

سبق أن ذكرنا أن هذه الآية جاءت في معرض الحديث عن القتال والجهاد، فقال القرطبي: عسى من الله إيجاب والمعنى عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون ومن مات منكم مات شهيدا،

وعسى أن تحبوا الدعة -الراحة والترف- وترك القتال وهو شر لكم في أنكم تُغلبون وتذلون ويذهب أمركم، فقال: هذا صحيح لا غبار عليه كما اتفق في بلاد الأندلس تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الفرار فاستولى العدو على البلاد، وأسر، وقتل، وسبى، واسترق من نسائهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون وإنما ذلك بما قدمت أيدينا وكسبنا، فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم.

يقولها على بلاد كانت عزيزة! في الفتح (في صلح الحديبية) كانت الشروط ليست شروطًا مجحفة وحسب، وإنما كان فيها الألم الشديد على المسلمين، جاؤوا بإحرامهم يسوقون الهدي أمامهم لا يريدون الحرب، يريدون العمرة في مكة ثم يعودون وهم أهلها (اشتاقت قلوبهم وتلهّفت إليها)، يعتقدون أن قريشًا لن تردهم وهم يرتدون إحرامهم ومعهم الهدي، لكن قريش لا يمكن أن تسمح للمسلمين بدخولها، فكانت هناك عدة مفاوضات بينهم إلى أن انتهوا بالصلح الأخير وكانت الشروط مؤلمة ومنها أن من جاء إلى المسلمين من كفار قريش يردونه إلى الكفار، ومن جاء من المسلمين إلى كفار قريش يأخذونه ولا يرجعونه، وأن تقف الحرب بينهم وتكون الهدنة لمدة عشر سنوات إلى غيرها.

عمر بن الخطاب كان من الناس الذين ذهبوا إلى أبي بكر يقول: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال:

أيها الرجل إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، - قال الزهري: قال عمر -: فعملت لذلك أعمالا، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما . رواه البخاري.

كره المسلمون هذا الصلح، وما أن أداروا قافلتهم للعودة إلى المدينة حتى نزلت سورة الفتح :"إنا فتحنا لك فتحا مبينا" سورة الفتح(آية1)، وبشرهم الله -عز وجل- بفتح مكة، كانت أقصى أماني وأحلام المسلمين عمرة فقط، ثم يرجعون إلى المدينة، والله كان يخبئ لهم فتحًا، أي إنهم سيرجعون إلى مكة لكن ليس للعمرة فقط، بل سيرجعون إليها ويفتحونها إلى قيام الساعة، ولذلك قد تعقد الآمال الكبار وتغضب لعدم تحققها، والله يخبئ لك أمرًا تجهله، وهذا هو الشاهد فقد كانت الهدنة عشر سنوات، فلم تلبث إلا سنتين ثم انتهت وكان فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة .

إيمانٌ وثقة.. توكّل وتسليم

عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- كان يقول عن هذه الدعوة: **ما برح بي هذا الدعاء حتى أصحبت ومالي شيء من الأمور هوى إلا في موضع القضاء، فأقول: اللهم رضني في قضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت.**

أما الشيخ خالد السبت-حفظه الله- حينما يأتيه أحد يشكو له من قدر ما، يقول له-حفظه الله- أن هذا الأمر إنما هو بتدبير من الله وتدبير الله لك خير من تدبيرك لنفسك، أليس كذلك؟ فيقول الثاني نعم، ثم يسأله سؤال آخر فيقول: لو أن الله جعل أمرك لك، هل تكتب قدرك بنفسك أم تختار أن يكتبه الله لك؟ (أي هل ستختار قدرك بنفسك أم ستقول يا رب وكلتك أمري أنت تعلم الماضي والحاضر والمستقبل، وتعرف ما كان وما لم يكن لو كان كيف سيكون، فهل ستضع قدرك في يدك أم في يد شخص تثق به، أم ستضعه في يد الله عز وجل؟) فيُجيبه: بل الله -عز وجل-، فيرد الشيخ-حفظه الله-: إذن هذا تدبير الله لك فسلّم أمرك لله.

ولا يعني هذا أن الإنسان يستسلم فلا يبذل السبب، بل لابد من بذل الأسباب، لكن فوق هذا لا نغفل جانب التوكل على الله -عز وجل-، فإذا جاءك الأمر على غير ما تحب، فالتمس الحكمة فيه وطب نفسًا وارض بقضائه وقدره، واعلم أن الركن الخامس من أركان الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره وشره، في أقدار الله كلها كونية أو شرعية.

هذا وأسأل الله أن يرضينا في أقداره، وأن يبارك لنا في أقداره، وأن يجعلنا على خير ما يحب، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

.